



الثلاثاء 17 أغسطس 2010 02:03 م
كتب: بقلم: د. محمد عفان

بالرغم من أن مسلسل الجماعة لم يُعرض منه سوى بضعة حلقات، إلا أن دلائل السقوط الفني لكاتبه صارت واضحة، خصوصًا إذا قارنته بفيلم البريء الذي اعتبره من الأعمال الفنية النموذج؛ ولأنني لست مؤهلًا للحديث عن الجوانب الفنية في العمليتين فستقتصر مقارنتي على الفكرة، ونمط رسم الشخصيات في كليهما.

ففي فيلم البريء والتي تدور أحداثه في حفة الرئيس السادات نجد مأمور السجن (والذي مثله محمود عبد العزيز) شخص سادي يحقر المعارضين (اليسار طبعًا)، ويعشق إهانتهم وإذلالهم، ويستمتع بتعذيبهم بنفسه، بل ويقتلهم بدم بارد، ويمنح الترقيات لقائلهم.. والمعارضون سواء أكانوا مفكرين (جميل راتب وصلاح فايل) أو طلاب الجامعة (مدوح عبد العليم) هم أبطال نبلاء مخلصون يذوبون عشقًا في الوطن.. يواجهون التعذيب بتحدي، ويستقبلون الموت بشجاعة.. أما أفراد الأمن (أحمد زكي، وحسن حسني) فيُبدع وحيد حامد في رسم مدى جهلهم وغشهم وتغائبهم الأحمق في تنفيذ الأوامر.. وهذا الفيلم يُمثّل صرخةً عاليةً وجرينةً في وجه الدولة البوليسية المستبدة، يدين ممارساتها القمعية وتخونيتها للمعارضين الشرفاء، وينتصر لقيم الحرية والإنسانية.

وبعد مرور ربع قرن على هذا العمل يخرج علينا وحيد حامد بهذا العمل الباهت (مسلسل الجماعة) الذي خانته فيه موهبته وخانه قلمه؛ ليعكس فيه الأدوار بشكلٍ ملفت.. فشخصية طلاب الإخوان صارت أقرب إلى أفراد الأمن في فيلم البريء من حيث الغشم والجهل والتحمس الأحمق المتشجع لتنفيذ أوامر القيادات.. وشخصية ضابط أمن الدولة أقرب إلى المفكر النبيل الذي يمارس وظيفته بهدوء الفلاسفة.. أما قيادات المعارضة في الجماعة فهم نماذج للانتهازية والخسة، يعيشون حياة غامضة مريبة وكأنهم أحد عائلات المافيا في صقلية.. والعجيب أنه بالرغم من فساد نظام مبارك وقمعه واستبداده إلا أن وحيد حامد يمسسه مسًا رقيقًا، ويساوي بينه وبين المعارضة في الجُرم في أحد المشاهد التي جاءت في "البرومو" (الحكومة تصنع آلام الناس.. والإخوان والأحزاب يتاجرون بها) هكذا!!!.. وأين معارضو فيلم البريء الشرفاء الذين يبذلون الروح راضين من أجل الوطن؟! ذهبوا مع الزمن.

وقضية التغير مع الزمن هذه إشكالية تحتاج إلى دراسة لبعض الأفلام المعارضة في مصر، إذ إنه بالرغم من أن النظام المصري في عهد مبارك أكثر خرقًا ومخالفة للرأي والفكر منه في عهد السادات، إلا أن بعض الأفلام التي كانت في طبيعة المعارضة كرفعت السعيد، وصلاح عيسى، وبدون مستأنسين بشكل مريب في عهد مبارك.. فأين الذين انتقدوا انفتاح السادات بضراوة من خصخصة عاطف عبيد، ومصمصصة أحمد نظيف، واحتكار أحمد عز؟!.. وأين البريء موديل مبارك والذي شهد عهده من الاعتقالات والتعذيب أضعاف ما كان في عهد السادات؟!

هذا الاستثناس لبعض الأفلام القديمة ليس له عندي إلا تفسيران.. أولهما وهو الأسوأ: أنه استجابة لمساومات فردية، وإغراءات ومكاسب شخصية. وثانيهما وهو الأوقع: أنه بسبب انتقال راية المعارضة ونقلها إلى الإسلاميين مُمَثِّلِينَ في الإخوان؛ ما دفع البعض إلى تغليب المنافسة الحزبية على صالح الوطن، ووضع أيديهم في يد نظام فاقد الشرعية والأهلية والكفاءة والأمانة؛ لمحاربة المد الإسلامي السياسي.

